العميد

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالأبحاث والدراسات الإنسانية

تصدر عن

العتبة العباسية المقدسة

مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات

مجازة من

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جمهورية العراق

معتمدة لأغراض الترقية العلمية

السنة الثالثة . المجلد الثالث . العدد الحادي عشر

ذي القعدة ١٤٣٥هـ أيلول ٢٠١٤م

الترقيم الدولي

ردمد: Print ISSN: 2227–0345

ردمد الألكتروني: Online ISSN: 2311 - 9152

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ١٦٧٣ لسنة ٢٠١٢م

كربلاء المقدسة ـ جمهورية العراق

المجلة في طريقها للحصول على عامل التأثير الدولي

من المركز الدولي للأنشطة البحثية

ISRA

Tel: +964 032 310059 **Mobile:** +964 771 948 7257

http: //alameed.alkafeel.net

Email: alameed@alkafeel.net

سورة المجادلة / الآية (١١)

المُشرف العام

السّيد أحمَد الصّافي

الأمينُ العام للعتَبة العبّاسِيّة المقدّسَة

رئيس التحرير

السَّيد ليْث الموسَوى

رَئيس قسْم الشؤوُن الفكريَّة والثقافيَّة

الهَيْأة الإسْتِشارِيَّة

أ.د. طارق عبد عون الجنابي . كلية التربية . الجامعة المستنصرية

أ.د. رياض طارق العميدي . كلية التربية للعلوم الإنسانية . جامعة بابل

أ.د. كريم حسين ناصح . كلية التربية للبنات . جامعة بغداد

أ. د. تقي بن عبد الرضا العبد واني . كلية الخليج . سلطنة عمان

أ. د. غلام نبيل خاكي . جامعة كشمير . مركز دراسات آسيا الوسطى

أ.د. عباس رشيد الدده . كلية التربية للعلوم الإنسانية . جامعة بابل

أ. د. سَرحان جَفات سَلمانْ . كليَّة التربيَة . جامعَة القادسِيَّة

أ.م.د. علاء جبر الموسوي . كلية الآداب . الجامعة المستنصرية

أ.م.د. مشتاق عباس معن . كلية التربية . ابن رشد . جامعة بغداد

مدير التحرير

أ. م. د. شوقي مصطفى الموسوي (كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل)

سكرتير التحرير

رضوان عبدالهادي السلامي

سكرتير التحرير التنفيذي

سرمد عقيل أحمد

هيأة التحرير

أ. د. عادل نذير بيري (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء)

أ. م. د. علي كاظم المصلاوي (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء)

أ. م. د. عز الدين الناجح (جامعة منوبة) تونس

أ. م. د. خميس الصباري (كلية ألآداب والعلوم / جامعة نزوة) سلطنة عمان

أ. م. د. أحمد صبيح محسن الكعبي (كلية التربية/ جامعة كربلاء)

أ. م. حيدر غازي الموسوي (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل)

م. د. علي يونس الدهش (جامعة سدني) أستراليا

تدقيق اللغة العربية

أ. م. د. **شعلان عبدعلي سلطان** (كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة بابل)

م. د. **علي كاظم علي المدني** (كلية التربية / جامعة القادسية)

تدقيق اللغة الإنكليزية

أ. د. **رياض طارق العميدي** (كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة بابل)

أ. م. **حيدر غازي الموسوي** (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل)

الإدارة والمالية

عقيل عبدالحسين الياسري

الموقع الإلكتروني

سـامر فلاح الصافي

قواعد النشر في المجلة

مثلما يرحّب العميد أبو الفضل العباس عليه السلام بزائريه من أطياف الإنسانية، تُرحّبُ مجلة (العميد) بنشر الأبحاث العلمية الأصيلة، وفقا للشروط الآتية:

١. تنشر المجلة الأبحاث العلمية الأصيلة في مجالات العلوم الإنسانية المتنوّعة التي تلتزم بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميا، ومكتوبة بإحدى اللغتين العربية أو الإنكليزية، التي لم يسبق نشرها.

٢. يقدَّم الأصل مطبوعا على ورق (A4) بنسخة واحدة مع قرص مدمج (CD) بحدود (٥,٠٠٠-١٠,٠٠٠) كلمة، بخط Simpelied Arabic على أن ترقّم الصفحات ترقيما متسلسلا.

٣. تقديم ملخص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخّص بحدود (٣٥٠) كلمة.

٤. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/ الباحثين وجهة العمل والعنوان (باللغتين العربية والإنكليزية) ورقم الهاتف والبريد الألكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في صلب البحث، أو أية إشارة إلى ذلك.

٥. يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بأن تتضمّن: اسم الكتاب، اسم المؤلف، اسم الناشر، مكان النشر، رقم الطبعة، سنة النشر، رقم الصفحة. هذا عند ذكر

المصدر أول مرة، ويذكر اسم الكتاب، ورقم الصفحة عند تكرّر استعماله.

٦. يزوَّد البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلات.

٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة، ويُشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصادره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى، وعليه أن يُشير فيما إذا كان البحث قد قدّم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنه لم ينشر ضمن أعمالهما، كما يُشار إلى اسم أية جهة علمية، أو غير علمية قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

٩. أن لا يكون البحث قد نشر سابقاً، وليس مقدما إلى أية وسيلة نشر أخرى، وعلى ا لباحث تقديم تعهّد مستقلّ بذلك.

١٠. تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

١١. تخضع البحوث لتقويم سرّي لبيان صلاحيّتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبِلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ) يبلّغ الباحث بتسلّم المادة المرسَلة للنشر خلال مدّة أقصاها

أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب) يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

ج) البحوث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائيا للنشر.

د) البحوث المرفوضة يبلّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ) يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومكافأة مالية.

١٢. يراعي في أسبقية النشر:

أ) البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب) تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.

ج) تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها.

د) تنويع مجالات البحوث كلما أمكن ذلك.

١٣. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيأة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه.

١٤. ترسل البحوث على الموقع الالكتروني لمجلة العميد المحكمة alameed.alkafeel.net من خلال ملئ إستمارة إرسال البحوث.. أو تُسلم مباشرةً الى مقر المجلة على العنوان التالي: العراق / كربلاء المقدسة / حي الحسين عليه السلام / مجمع الكفيل الثقافي.

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic Of Iraq
Ministry Of Higher Education & Scientific Research
Research and Development

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No :
Date:

العدد : ب ح ع / ٢١٤٤
التاريخ : ١٢ / ٢ / ٢٠١٢

العتبة العباسية المقدسة / قسم الشؤون الفكرية والثقافية

م/ مجلة العميد

تحيـــــــة طيبـــــــة...

اشارة الى رسالتكم الالكترونية الواردة بتاريخ ٢٠١٢/٣/١١ و بكتابنا المرقم ب ت ١٢٢٣١/٤ في ٢٠١٢/١٢/٢٠ ، ونظرا لحصول مجلتكم (مجلة العميد) على الترقيم الدولي (ISSN) الخاص بها ، تقـرر إعتماد المجلة اعلاه لاغراض الترقية العلمية .

...مع التقديـــــــــر

أ.م.د محمد عبد عطية السراج
المـدير العـام لـدائرة البحث والتطوير
٢٠١٢/٣/١٢

نسخة منه الى :
- البحث والتطوير/ قسم الشؤون العلمية
- الصادرة

Email scientificdep@rddiraq.com
www.rddiraq.com (الموقع الالكتروني للدائرة)
الهاتف / ٦٥٠٠٣١٣
Tel : 7194065

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

على الرغم من شروع العميد في أعدادها السابقة والبالغة عشرة أعداد لتخصيص ملف يدرس جانبا فكريا من نهج العترة الطاهرة الا اننا نعتقد اننا ما زلنا إلى الآن في البدء من هذه الدراسات، ولذا فنحن اليوم في ملفنا نحاول ان نتناول خصائص الاسلوب في حديث رابع أصحاب الكساء الامام الحسن عليه السلام، لان عوامل التأثير الجمالي في هذا الاسلوب ستقودنا الى الوقوف على اهم ما احتوت هذه النصوص من منظومة فكرية استطاعت العترة الطاهرة أن تترجمها الى أفعال حيوية خلّاقة بثّت روح التغيير في فكر المجتمعات ورؤاها.

وقد حوى هذا الملف دراسات ثلاث دارت حول الابعاد التداولية في خطب الامام الحسن عليه السلام، وخصائص الاسلوب في خطب الامام الحسن عليه السلام، وكذلك ملامح التأويل والاحتجاج في كلام السبط المجتبى عليه السلام.

وإذا كان ملف المجلة يشكل قسما من أقسامها، فإنّ القسم الآخر من البحوث كان مكملا للنهج الذي سرنا عليه من اكمال نشر بحوث المؤتمر الاول لمجلة العميد والمسيرة العلمية التي تبنتها في خدمة الدارسين والدراسات الفكرية فكان بحث آفاق وأسس

الحوار الاسلامي واثره على الفكر الغربي، وكذلك بحث الخطاب الاسلامي المعاصر في الغرب والتنمية البشرية هما مسار هذا النهج، ولان العميد لا تريد التوقف عند ثيمة واحدة واتجاه مفهومي واحد اتجهت الى نشر العديد من البحوث ذات الاختصاصات المتنوعة لأنها تؤمن بان ذلك سيغني الساحة الفكرية بالرؤى والافكار، وعليه فهي تنشر في الاستنصار الحسيني والقرآني اذ يحاول هذا البحث عقد دراسة موازنة بينهما كونهما يكمل بعضهما الاخر ولان الحسين عليه السلام يشكل منظومة فكرية استطاعت ان تترجم النصّ القراني على الواقع الارضي.

ومن البحوث ايضا بحث الملامح العامة للمنهج النقدي عند الشيخ المفيد الذي كان يتعامل مع كلِّ ما يريد أن يقدِّمه للآخرين، وكل ما يورده الآخرون عليه، بحسب ما يراه من الأدلة صالحاً ومقنعاً.

كل هذا التنوع في بحوث العدد كان الهدف منه نشر الفكرة العلمية التي تنشدها العميد ونشرها بين صنوف المجتمع بكل اقسامه، ولذا فان المجلة بكادرها يدعو جميع المختصين بفروع المعرفة لرفدها بما ينتجون من اصناف متنوعة من هذه العلوم لتتسع القاعدة المعرفية المرصودة في المتن المعرفي لمجلة العميد وتكون الفائدة أعم.

واخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المحتويات . . .

٢١ **الأبعاد التداوليّة في خطبة الإمام الحسن عليه السلام في المدينة المنوّرة**
أ.م.د. عبدالزهره زبون
الجامعة المستنصريّة / كلّيّة التربية / قسم اللغة العربية

٥٣ **ملامح التأويل والاحتجاج في كلام السبط المجتبى عليه السلام**
أ.م.د. حيدر ناجي مظلوم
دكتوراه لغة عربية / الجامعة المستنصرية / كلية التربية

١٤٥ **خصائص الاسلوب في خطب الامام الحسن عليه السلام**
أ.م.د. رباب صالح حسن
الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم اللغة العربية

١٨٥ **الاستنصار القرآني والحسيني (دراسة موازنة)**
م.د. فاضل مدب / م. د.محمد حسين عبود
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية / قسم علوم القرآن

٢١٧ **آفاق وأسس الحوار الإسلامى وأثره على الفكر الغربى**
(من بحوث مؤتمر العميد العلمي العالمي الأول)
أ.م.د. هدى عبد الحميد زكى محمد
جامعة الأزهر - فرع أسيوط / كلية البنات الإسلامية

٢٥٩ **الخطاب الاسلامي المعاصر في الغرب والتنمية البشرية**
(التكامل والتفاعل) (من بحوث مؤتمر العميد العلمي العالمي الأول)
أ.م.د. بدر الدين زواقة
جامعة باتنة / كلية الدعوة والاعلام والاتصال / الجزائر

٢٨١ **أثر انموذج الشكل Vee في تحصيل مادة الادب والنصوص عند طلاب الصف الرابع الاعدادي**
م.د.سماء تركي داخل
جامعة بغداد / كلية التربية - ابن رشد / قسم العلوم النفسية والتربوية

٣٥٧ **تطور الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين القديمة (من بحوث مؤتمر العميد العلمي العالمي الأول)**

أ.د. نائل حنون

جامعة القادسية / كلية التربية / قسم التاريخ

٣٧٩ **اللغة العربية مؤثّرة ومتأثّرة (قراءة في مجموعة من دراسات المستشرقين)**

أ.م.د. حامد ناصر الظالمي

جامعة البصرة / كلية التربية / قسم اللغة العربية

٤١٥ **الفقه الخلافي عند السيد السيستاني (مسألة كثير السفر أنموذجاً)**

م.د. حيدر محمد علي السهلاني

جامعة الكوفة / كلية الفقه / قسم علوم القرآن والحديث الشريف

٤٦٥ **اشكالات التلقي في الكتابات التوليدية التحويلية العربية**

م.م. الاء علي عبد الله العنبكي

كلية الامام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة / فرع ديالى

قسم علوم القرآن والحديث الشريف

15 **Using Contextualized Pictures in Teaching Vocabulary to Intermediate School in Iraq**

Asst. Prof. Dr. Bushra Saadoon M. Al-Noori

College of Education for Humain Sciences (Ibn Rushd)

Baghdad University

Dr. Nadia Fadhil Al-Taie

College of Islamic Sciences

Baghdad University

ملفُّ العَدَد

لُغَةُ النَّص

قِراءَةٌ في البُعْدِ التَّداوُلِيّ لِخُطَبِ الإمامِ الحَسَنِ عليه السلام

Text Language
A Reading on the pragmatic Scope of Imam Al-Hassan Sermons

الأبعادُ التَّداوُليَّة
في خطبةِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام
في المدينةِ المنوَّرة

Pragmatic Scope
in Imam Hassin Sermons
at Al-Madeena Al-Munawara

أ.م.د. عبدُ الزَّهرةِ زبُونْ

الجامعة المستنصرية

كلية التربية / قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Abid Al-Zahra Zabun

University of Al-Mustansiriya

College of Education

Department of Arabic

ملخص البحث

لاشكّ في أنّ للعمل قوّة فعالة لها أكبر الأثر في الفرد والمجتمع ؛ لذلك عملية النهوض بالمجتمع المتخلف ينبغي لها أن تسريَ في كلّ شؤونه لكي يخرج من هذا التخلف. وتتطلب أن نعرف شيئًا من تأريخ أهل البيت عليهم السلام وعلومهم وأعمالهم، ويكون النظر إليها بنظرة شاملة لكلّالمجالات في ما يتعلق بالمجتمع، وشاملة لكلّ المستويات المتعلقة بالفرد؛ إذ لا سبيل إلى التفريق بينها؛ فارتأيت أن أدرس نصًّا للإمام الحسن عليه السلام على حسب الأبعاد التداوليّة؛ لكي أرى أنّ كلامه (صلوات الله عليه) يصلح لزماننا هذا ومكاننا هذا؛ فنرتقي بمجتمعنا وبلدنا نحو الأفضل إن نحن سمعنا كلام الإمام ووعيناه.

Abstract

With no doubt, the work comes with the most efficacious force that influences both a person and society so the development acts of a primitive society should stream throughout its levels to divest itself of such retardation. It needs to know something about Ahlal-bayt (Peace be upon them), their sciences, deeds universally and in particular their societal concerns covering all the levels related to man, since there is no way to distinguish between them, so I decide to study a text for Imam Al-Hassan pragmatically to see that his speeches are applicable to our society and country to the best, if we do perceive his speeches.

التعريف بالإمام عليه السلام

لا أريد أن أعرّف بالإمام الحسن عليه السلام؛ فهو أوضح من الشمس في رابعة النهار؛ ولكنّي أذكر نُبذًا من ردود الإمام عليه السلام على معاوية حين سافر إلى المدينة، ورأى تكريم الناس للإمام وحفاوتهم به وإكبارهم له؛ ممّا ساءه ذلك؛ وهذه الردود تنبئ عن الإمام (صلوات الله عليه)[1]: ((**أيّها الناس؛ من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب، أنا ابن نبيّ الله، أنا ابن من جعلت له الأرض مسجدًا وطهورًا، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن من بعث إلى الجنّ والإنس، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين**)).

((**أنا ابن مستجاب الدعوة، أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن أوّل من ينفض رأسه من التراب، ويقرع باب الجنّة، أنا ابن من قاتلت الملائكة معه ولم تقاتل مع نبيّ قبله، أنا ابن من نصر على الأحزاب، أنا ابن من ذلّت له قريش رغمًا**)).

((**أنا ابن من ساد قريشًا شابًّا وكهلاً، أنا ابن من ساد الورى كرمًا ونبلاً، أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالجود الصادق، والفرع الباسق، والفضل السابق، أنا ابن من رضاه رضى الله، وسخطه سخطه، فهل لك أن تساميَه يا معاوية؟**)).

النصّ[2]

روى الخوارزميّ أنّ معاوية سافر إلى يثرب فرأى تكريم الناس وحفاوتهم بالإمام وإكبارهم له ممّا ساءه ذلك، فاستدعى أبا الأسود الدؤليّ والضحّاك بن قيس الفهريّ فاستشارهم في أمر الحسن، وأنّه بمَ يصمه ليتخذ من ذلك وسيلة للحطّ

من شأنه والتقليل من أهمّيّته أمام الجماهير، فأشار عليه بالترك... ولكنّ الضحّاك بن قيس قد أشار على معاوية بخلاف ذلك فحبّذ له أن ينال من الإمام ويتطاول عليه... واستجاب معاوية لرأي الضحّاك، فلمّا كان يوم الجمعة صعد المنبر...، ثمّ ذكر أمير المؤمنين وسيّد المسلمين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فانتقصه، ثمّ قال: ((**أيّها الناس! إنّ صبية قريش ذوو سفه وطيش وتكدّر من عيش أتعبتهم المقادير، فاتخذ الشيطان رؤوسهم مقاعد، وألسنتهم مبارد، فأباض وفرّخ في صدورهم، ودرج في نحورهم، فركب بهم الزلل، وزيّن لهم الخطل، وأعمى عليهم السبل، وأرشدهم إلى البغي والعدوان والزور والبهتان، فهم له شركاء وهو لهم قرين** ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨]، **وكفى لهم مؤدّبًا، والمستعان الله**))، ثمّ قال للإمام: اذكر فضلنا؛ فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على محمّد النبيّ وآله؛ ثمّ قال: ((**من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن ابن رسول الله، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن المصطفى بالرسالة، أنا ابن من صلّت عليه الملائكة، أنا ابن من شرفت به الأمّة، أنا ابن من كان جبرئيل السفير من الله إليه، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين صلّى الله عليه وآله أجمعين**)). فلم يقدر معاوية أن يكتم عداوته وحسده؛ فقال: يا حسن! عليك بالرطب فانعته لنا، قال: ((**نعم يا معاوية، الريح تلقحه، والشمس تنفخه، والقمر يلوّنه، والحرّ ينضجه، والليل يبرده**)). ثمّ أقبل على منطقه؛ فقال: ((**أنا ابن المستجاب الدعوة، أنا ابن من كان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى، أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن من خضعت له قريش رغمًا، أنا ابن من سعِد تابعه، وشقي خاذله، أنا ابن من جعلت الأرض له طهورًا ومسجدًا. أنا ابن من كانت أخبار السماء إليه تترى، أنا ابن من أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا**)). فقال معاوية: أظنّ نفسك يا حسن تنازعك إلى الخلافة، فقال: ((**ويلك يا معاوية! إنّما الخليفة من سار بسيرة رسول الله، وعمل بطاعة الله، ولعمري إنّا لأعلام**

الهدى ومنار التقى، ولكنّك يا معاوية ممّن أباد السنن، وأحيا البدع، واتخذ عباد الله خولاً، ودين الله لعبًا، فكأنْ قد أخمل ما أنت فيه، فعشت يسيرًا، وبقيت عليك تبعاته، يا معاوية والله لقد خلق الله مدينتين إحداهما بالمشرق، والأخرى بالمغرب أسماؤهما جابلقا وجابلسا، ما بعث الله إليهما أحدًا غير جدّي رسول الله ﷺ)). فقال معاوية: يا أبا محمّد أخبرنا عن ليلة القدر، قال: **((نعم، عن مثل هذا فاسأل؛ إنّ الله خلق السماوات سبعًا والأرضين سبعًا، والجنَّ من سبع، والإنس من سبع فتطلب من ليلة ثلاث وعشرين إلى ليلة سبع وعشرين ثمّ نهض عليه السلام)).**

فكرة البحث

لاشكّ في أنّ للعمل قوّة فعالة لها أكبر الأثر في الفرد والمجتمع؛ لذلك عملية النهوض بالمجتمع المتخلف ينبغي لها أن تسريَ في كلّ شؤونه لكي يخرج من هذا التخلف. وتتطلب أن نعرف شيئًا من تأريخ أهل البيت عليهم السلام وعلومهم وأعمالهم، ويكون النظر إليها بنظرة شاملة لكلّ المجالات في ما يتعلق بالمجتمع، وشاملة لكلّ المستويات المتعلقة بالفرد؛ إذ لا سبيل إلى التفريق بينها؛ فارتأيت أن أدرس نصًّا للإمام الحسن عليه السلام على حسب الأبعاد التداوليّة؛ لكي أرى أنّ كلامه (صلوات الله عليه) يصلح لزماننا هذا ومكاننا هذا؛ فنرتقي بمجتمعنا وبلدنا نحو الأفضل إن نحن سمعنا كلام الإمام ووعيناه.

مشكلة البحث

وتكون في السؤال الآتي: هل يمكن أن نجري الأبعاد التداوليّة على نصّ قديم فصيح مكتوب؛ ككلام الإمام عليه السلام؟.

توطئة

اليوم.. نحن نؤمن بأنّ سرّ تخلفنا وضعفنا في هذا العصر هو في تعطل عمليّة الإبداع والاجتهاد في شتى المستويات والمجالات وتعطيلها، وأنّ ما يفكّ القيود ليتّجه العقل نحو الإبداع والحضارة الحديثة هو بإزالة العوائق الاجتماعيّة والتأريخيّة التي تكبّل هذا العقل الذي انعطف نحو الانغلاق والتعطل والتأزم قرونًا طويلة. ومن أبرز المشكلات التي تواجهنا على المستوى الثقافيّ؛ إقامة توازن حركيّ بين مختلف عناصر الثقافة عندنا، لإحكام الصلة الضروريّة بين متطلبات الحياة والنتاج الفكريّ. ولا يستطيع إنسان اليوم أن يفهم حياة مجتمعه الذي يعيش فيه من دون ثقافة تلمّ بأهمّ ما أثر في تأريخه وفي ما أوصله إلى التخلف والجهل والانهزاميّة.

إنّ الإنسان المسلم اليوم يعيش وتحيطه الصناعة التي تقف عليها حياته اليومية، وقد بات كلّ شيء من حياته مرتبطًا بما يأتيه من أدوات وآلات وخبرات أنتجتها أمم فاقتنا علمًا وحضارة؛ فاتسع الخرق بيننا وبينهم. فبُني على ذلك: أنّ الثقافة اليوم عند العرب والمسلمين لا تستطيع المساهمة مع باقي البشر في هذه الأرض أن تنشئ حضارة ومدنيّة؛ لأنها فقدت السيطرة على الإقناع وانعقد لسانها عن لغة الحوار.

فلا بدّ لنا الآن من إزاحة الأزر وإزالة الغشاوة عن العيون ومواجهة أشعة الشمس؛ لنقول إنّ لنا إمامًا عظيمًا وقائدًا قلّ نظيره؛ يمدّ إلينا حبلاً على مدى القرون الطويلة، وعلينا أن نمتّ إليه بصلة لنفيد منه في حاضرنا، ونحيا بعلمه حياة طيّبة لا أن نُفاخر به وحسب.

ممارسة القيادة

من أجل معرفة شيء من حياة الإمام الحسن عليه السلام علينا أن نعرف شيئًا من ممارسة الإمام للقيادة؛ لأنّها قد عُقدت له من قبل النبيّ صلى الله عليه وآله عن طريق الإمام عليّ عليه السلام حين الوصيّة له، ودفع الكتب إليه والسلاح؛ فقد مارس الإمام الحسن عليه السلام عمليّة القيادة؛ إذ أثر بشخصيّته في مجتمع معيّن ـ وهو مجتمع أهل المدينة ومجتمع أهل الكوفة في حقبة محدودة من الزمن، وقد وقفوا مواقفَ كثيرة ومتباينة من حيث الحفاوة والتبجيل والتكريم لإمامهم أو من حيث العداء له، وإن كان قد نزل عن مسند الخلافة لمعاوية بالمعاهدة المشهورة التي كانت بينهما.

كان خُلُق الإمام عليه السلام توجيهًا لسلوكهم نحو هدف معيّن؛ وهو الحؤول دون وقوعهم في الضلال وانحراف العقيدة والنكوص نحو كفر الجاهليّة والاتجاه نحو باطل معاوية؛ ومن بعدُ لئلا يدخلوا النار بانحرافهم عنه. وكذلك لكي ينضمّوا تحت قيادته فيخطوَ بهم خطوة أخرى من أجل العيش الكريم في الحياة الدنيا بأفضل عيش؛ فكان قائدًا ثابت الجنان؛ أمّا هم فقد كان فيهم مَن تقودهم المتغيّرات الشخصيّة والأهواء النفسيّة، وانتفاء حركيّة التفاعل بين هذه المتغيّرات.

وقد مارس الإمام القيادة على وَفق قدراته ومواهبه الراكزة في نفسه الأبيّة وقوّة شخصيّته، وقد كانت قيادته على قسمين؛ الأوّل حين يلتقي بالناس في معايشهم في المدينة من عوامّهم أو خواصّهم على اختلاف توجّهاتهم العقائديّة والسياسيّة، أو بمن يأتي ضيفًا عليها، أو وافدًا عليه، أو بمن يأتيه مجادلاً ومناقشًا؛ والثاني على الجيوش التي قاتلت أباه أمير المؤمنين؛ حين كان يرسله من أجل حِجاجهم والردّ على انحرافاتهم ومقولاتهم الضالّة؛ أو الذين قاتلوه حين استخلافه؛ فواجهوه بجهلهم وضلالهم وحماقاتهم، وكان قادرًا على التصرّف والحركة والمناقشة والإقناع.

ومن الموضوعات التي أثرت في مسيرة الإسلام في بَدئه والانعطاف إلى الهاوية لا باتجاه التقدّم والسلوك المتزن هو رفض كثير من الأطراف للنصوص الإلهيّة في تعيين الخليفة، وأيضًا رفض الأحاديث التي وردت بحقّ الوصيّ عليه السلام... فهذا له أسباب عدّة في رفضهم (أهمّها حبّ السلطة)، ولا يمكن عرض كلّ الأسباب؛ لأنّنا في هذا البحث لسنا بصدد طرح كلّ القضايا؛ وإنّما أردنا أن نضيء جانبًا من جوانب العتمة والظلام التي غشيت قلوبَ كثرٍ؛ ونرى كيف صار أهل البيت مظلومين بعد حياة النبيّ صلى الله عليه وآله الذي اختلفت الأمّة بعد استشهاده في مجمل أمورهم، وتشريع قضاياهم؛ وهو صلى الله عليه وآله أكد الالتزام بالوحدة والتمسّك بالعروة الوثقى وأضاف صلى الله عليه وآله: هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتى يردا الحوض يوم القيامة؛ وبعد التفاهم حول السلطة بدؤوا ينسجون خيوط المؤامرات للتضييق على عليّ وأهله كي لا يكون لهم قوّة، ويستردّون ما سلب منهم.

ومن كبرى القضايا التي غيّرت مسار الأمّة نحو الانحراف والجهل والتيه هي قضيّة إمامة الحسن عليه السلام والمعاهدة مع معاوية؛ إذ تسمّى خطأً بـ (صلح الحسن)؛ إذ تركت الأمّة إمامها المفترض وانحازت إلى إمام الضلالة معاوية إلى اليوم، وما زال الجدل قائمًا حتى يومنا لا ينفكّ يفارق جلسات الجدال والمراء بين فرق المسلمين؛ ولكن الذي يهمّنا في هذا البحث؛ هو كلام للإمام الحسن في هذا القضيّة؛ إذ تكلّم به من أجل إيضاحها لمعاصريه وللأجيال اللاحقة له على مدى العصور ليحيا من يحيا على بيّنة ويضلّ من يضلّ على بيّنة، وإن كان السائرون في هذا السبيل قلائل: ((**لاتستوحش طريق الحق لقلة سالكيه**)).

إذ يعرف أبسط الناس من شيعة عليّ أنّ آل بيت الرسول معصومون ومنزّهون عن الرجس والدنس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب الآية ٣٣]؛ ولا نريد أن ندخل في تفاسير هذه الآية، وإنما ذكرناها من باب الاستدلال بها من دون ريب.

إنّ عمليّة القيادة لها أهمّيّة كبرى؛ لأنّها ترتب الحياة، وتقيم العدل، وتنظم المجتمع، وتحول دون أن يأكل القويُّ الضعيفَ؛ فعمل الإمام على تحفيز السلوك الإيجابيّ فيهم، وبذل قصارى جهده لنبذ السلوك السلبيّ؛ إذ نبّه فيهم الجانب العلميّ والثقافيّ؛ فخاطبهم بلغة راقية عالية الفصاحة والبلاغة، عالية السموّ والرفعة والعزّة.

علم الإمام

إنّ الإمام الحسن عليه السلام إمام معصوم؛ وهو من العلماء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا؛ وقد أخبر الله سبحانه بأنّ أهل العلم هم أهل خشيته؛ لأنّهم أقدر الناس على معرفته ومعرفة جلاله سبحانه؛ فهم العلماء الحقيقيّون الذين نزل فيهم قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ إذ بيّن القرآن الكريم أثر علومهم وآثارهم في أنهم أهل الفضل وأهل المنزلة العليا، وأهل التقى، وهم القربى التي تجب مودّتهم؛ إذ أشهد الله سبحانه نفسه، ثمّ خِيار خلقه وملائكته؛ أنّهم هم العلماء من عباده، وفي هذا فضل لا يدانيه فضل؛ فقد اقترنت شهادتهم بأنّهم العلماء بشهادة المولى عزّ وجلّ، وكذا بشهادة الملائكة على أعظم مشهود له، وفي هذا تزكية لهم وعلوّ أقدارهم وإقرار بأنهم عدول خلقه، أي أزكاهم وأعلاهم وأجلّهم؛ إذ قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، ونلحظ في هذه الآية أنّ الله سبحانه وتعالى جعل شهادة علمائه من عباده حجّة على المفكرين بوحدانيّته، فكأنّما العلماء بهذا أدلة لله

على آيات توحيده، وكفاهم بهذا شرفًا وعظمة في الدنيا والآخرة. ويلحظ أيضًا أنّ العطف بالواو قد ربط بين الله وبين الملائكة وبين العلماء من عباده، وهذا يدلّ دلالة قويّة على شدّة ارتباط شهادتهم بشهادته، وأنّ الله سبحانه يجري ما شهد هو به عن نفسه على ألسنتهم وكفاهم بهذا فخرًا.

فهؤلاء العلماء شهدوا بوحدانيّة الله وأفردوه بكلّ صفات الجلال والجمال، وأعلنوا إقرارهم هذا فتبعهم الناس على نهجهم، فكان لهم مثل أجرهم. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ويقول أيضًا: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد: ١٩]، فأهل الجهل عميان، وقد وصفهم الله في مواضع أخرى بأنّهم صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يفقهون.

يقول الحقّ تبارك اسمه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. وأهل الذكر هم أهل العلم، فيُعرَف الأمر الإلهيّ بالرجوع إليهم وسؤالهم في أمور الدين وأمور الدنيا، كلٌّ منهم يقول الله سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وفي هذا مدح وثناء لأهل العلم ومنقبة لهم ومفخرة؛ إذ إنّهم أهل لثبات العقيدة وإبراز آيات الله للبشر والدعوة إليها.

ويكفي العلم شرفًا أن يوصيَ اللهُ سبحانه وتعالى خاتم رسله محمّدًا ﷺ بأن يطلب العلم على الدوام: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، والله سبحانه هو المصدر المباشر لعلم النبيّ ﷺ.

ورفع الله أهل العلم درجات، فقال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، ولقد أخبر الله برفع الدرجات

في كتابه العزيز في أربعة مواضع، منها هذا الموضع، وموضع يذكر فيه أهل الإيمان، وموضع لأهل العمل الصالح، والرابع لأهل الجهاد. وحين ننظر فيها جميعًا نجد أنّ رفعة الدرجات تعود كلّها إلى العلم والجهاد اللذين بهما قوام الدين، وأنّها قد عمل بها أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الحسن عليه السلام. ثمّ يبيّن ما أعدّه لهم من جزاء فيقول: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].

فإنّ الله سبحانه يُعلي قدر العالمين لأنّهم أقدر الناس على فهم أوامره وأمثاله التي يضربها للبشر في القرآن: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]؛ ذلك لأنّ العالم كلّما عمّق علمه ازدادت معرفته بالله وإدراكه لمقاصد آياته وأسرار كنهها، حتى إنّه رُوِيَ أنّ بعض السلف الصالح كانوا يقرؤون القرآن، فيمرّون على مثل من أمثاله المضروبة فيه فيحاولون فهمه فإن عجزوا عن إدراكه بكوا على عجزهم عن الفهم الذي أخرجهم من دائرة العالمين الذين أشارت إليهم الآية السابقة.

إنّ فضائل الله على عباده العلماء كثيرة، ومنها أنّه يسّر لهم العلم فمنحهم القدرة على إدراكه ووهبهم سبيل الغوص فيه، وأعظم مخلوق وهبه الله هذه المواهب هو رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣]، ثمّ إنّه سبحانه يذكّر عباده المؤمنين بهذه النعمة ويأمرهم بشكرها: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١].

أما سُنّةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسنّة آل بيته الطيّبين الطاهرين فزاخرة بالنصوص التي تأمر بالعلم وتمضي عليه وتُعلي قدره ومكانة أهله نسوق منها:

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **((طلب العلم فريضة على كلّ مسلم. ألا إنّ الله يحبّ بغاة العلم))**.(٣)

وعن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: **((دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل، فقال: ما هذا؟ فقيل: علاّمة. فقال: وما العلاّمة؟ فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار العربية. قال: فقال النبيّ صلى الله عليه وآله ذاك علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه. ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سُنّة قائمة. وما خلاهن فهو فضل))**.(٤)

وعن عليّ بن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: **((تفقهوا في الدين فإنه من لم يتفقه منكم في الدين فهو أعرابيّ. إنّ الله يقول في كتابه: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾** [التوبة: ١٢٢]))**.

وعن أبي عبدالله قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: **((ألا أخبركم بالفقيه حقّ الفقيه؟. من لم يُقنّط الناس من رحمة الله. ولم يؤمنهم من عذاب الله. ولم يرخص لهم في معاصي الله. ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره. ألا لا خير في علم ليس فيه تفهّم. ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكّر))**.(٥)

وورد في الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ بن أبي طالب وهو متوجّه إلى السفر: **((لئن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير من حمر النعم))**(٦)؛ فعمل العالم في هداية الناس ذو شأن عظيم عند الله، حتى ولو اهتدى شخص واحد بعلم هذا العالِم فذلك خير من متاع كثير في الدنيا، فما بالك بمن تهتدي به طوائف كثيرة من الناس.

وروى أبو داوّد والترمذي من حديث أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**مَن سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإنّ العالم ليستغفر له مَن في السموات ومَن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**)).[٧]

وقال الإمام عليه السلام مبيّنًا حقيقة الثقلين، وحقيقة علمهم: ((**... واعلموا علمًا يقينًا أنّكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حقّ تلاوته حتى تعرفوا الذي حرّفه، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلّف، ورأيتم الفرية على الله، ورأيتم كيف يهوي من يهوي، ولا يجهلنّكم الذين لا يعلمون، والتمسوا ذلك عند أهله فإنّهم خاصّة نور يستضاء بهم وأئمّة يقتدى بهم، بهم عيش العلم وموت الجهل، وهم الذين أخبركم حلمهم عن علمهم، وحكم منطقهم عن صمتهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه، وقد خلت لهم من الله سابقة، ومضى فيهم من الله حكم إنّ في ذلك ذكرى للذاكرين**)).[٨] الإمام الحسن عليه السلام إذًا هو وارث النبيّ ﷺ، وهو العالم الذي يجب أن يُتّبع.

وسيلة التغيير

إنّ اللغة من أبرز الوسائل لتغيير ما بالنفس البشرية؛ ولذلك كانت معجزة الرسول محمّد ﷺ بلغة القرآن الكريم؛ إذ أنزله الله عليه وهو المعجز إلى اليوم وإلى قيام الساعة، وبهذا القرآن حثّ الله المؤمنين به على العمل الذي هو قوام الأمور؛ فقد

بدأت الأنشطة الفكريّة واللغويّة التي تناولت النصّ القرآنيّ لمعرفة أسراره والكشف عن معانيه منذ نزول القرآن الكريم بعناية الرسول صلى الله عليه وآله المبيّن الأوّل له؛ إذ أمره الله تبارك وتعالى أن يبيّن للناس ما نزل إليهم بقوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]؛ فكان الصحابة يلجؤون إليه في بيان ما خَفِي عليهم معناه ويرجعون إليه في تفسير ما صعُب عليهم فهمه، وكان صلى الله عليه وآله يوضح لهم الكلمات ويشرح لهم المعنى، ولمّا كان الإمام الحسن عليه السلام من النبيّ وهو منه؛ فهو لا ينطق عن الهوى وكلامه نور دائم يريد به تغيير الناس نحو الأفضل.

ونحن إذ ندرس كلام الإمام الحسن عليه السلام فإنّنا ننقاد إلى فهم معيّن، ولا شكّ في أنّ أيّ دارس لأيّ نصّ لغويّ عندما يتناول نصًّا ما فإنّه ينقاد إلى فهم معين، وهذا الفهم يعدّ حصيلةً لتفاعل أمرين؛ أحدهما المعطيات السياقيّة التي يتشكل منها المعنى، وثانيهما طبيعة المتلقي من حيث التكوين الفطريّ والمكتسب، لذا يتعدّد المعنى في نظر المفسّر الواحد بسببٍ من المعطيات السياقيّة التي يرتكز عليها في فهم النصّ، ويقود هذا إلى تعدّد في التحليل عنده، وقد يختلف فهم المعنى باختلاف الناس، ممّا يجعلنا نرى التفاوت النسبيّ في عمليّة التلقي، وتحديد المعنى أمرًا شائعًا.

لذا لا يتحوّل المعنى من لفظيّ معجميّ مجرّد محدّد إلى تأويل أوسع إلاّ بشغل اللفظ في بنية تركيبيّة، وربط هذه البنية مع غيرها في سياق، والسياق مع سياقات أخرى؛ لتسهم كلّها في إحداث تحوّل خطر في شكل اللغة وطاقتها الإيحائيّة، وصولاً إلى التعبير عن المكنونات الثاوية للدلالات؛ لأنّ السياق المعجميّ هو: (تلك العلاقات البنيويّة الأفقيّة التي تقوم في العبارة بين المفردات بوصف هذه الأخيرة وحدات معجميّة دلاليّة، لا بوصفها وحدات نحويّة أو أقسامًا كلاميّة عامّة).[٩]

وهذا النصّ لا يفهم لدى المتلقي حين يبتعد عن الصواب؛ فيتلاشى فهم المتلقي لذلك النصّ: (لكن الفعل المعرفيّ المحوريّ في عمليّة الربط ونمط تأثير حِراك الأزمنة الخاصّة، ويتمّ عبر الحوامل الثقافية التي يشكل خارطتها الزمن الاجتماعيّ في لحظة تأريخية معينة وهذا ما نسمّيه الزمن التأريخيّ والموسوم بسياقات محدّدة لفعل العناصر الاجتماعيّة التأريخيّة في إحداثيّات اللحظة المدروسة).[١٠]

وطالما كان للفكر اللغويّ وجهة نظر في (المعنى)، وقد انشعبت هذه الوجهة إلى جنبتين لا مندوحة منهما؛ الأولى: النظر إلى أنّ للمعنى مظهرًا خارجيًّا مستقلاً عن العقل، فهو عبارة عن وجود عيانيّ أو حالة شعوريّة محسوسة، والثانية: النظر إلى أنّ (المعنى) نتاج عمليّة اندماجيّة بين الفهم وبين الإدراك يؤدّيها كلٌّ من العقل والنفس. فهو عبارة عن شيء مصنوع قد اتخذ اللغة إهابًا له، وهو كالفرع الخاصّ والذاتي في مسألة(المعنى) وصناعته؛ يقول حازم القرطاجنّيّ: «كلّ شيء له وجود خارج الذهن فإنّه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه...».[١١] والاثنان كالأصول العامّة في مسألة (المعنى) وصناعته؛ يقول حازم القرطاجنّيّ: «... فإذا عُبّر عن تلك الصورة الذهنيّة في أفهام السامعين وأذهانهم فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ».[١٢]

المعنى إذًا بحسب ما تقدّم؛ هو وجود مستقلّ حادث يعادل الوجود الأصليّ للأشياء خارج الذهن؛ فكأنّه والحال هذه ردّة فعل شخصيّة أزاء الأشياء تتمثل في هيأة لغويّة؛ هو إذًا كائن لا يستطيع أن يكون إلاّ باللفظ الذي سيغدو أداة أو آلة يُتوصّل بها إلى إقامة هيأة المعنى بنقله من حاله التي في الذهن إلى حال الوجود الشكليّ المحسوس مع اشتراط قيام تلك الأداة؛ وهي (الألفاظ) على أساس من التواشج المعرفيّ بين كلٍّ من المنشئ والمتلقي؛ لأنّ كلاًّ منهما: (بما لهما من خبرة

لغويّة ناتجة عن معرفة كلّ منهما المسبقة باللغة تتيح لكلٍّ منهما تشكيل الأداء اعتمادًا على التوقعات التي يكون للمستمع أو القارئ دور إيجابيّ لخبرته بالنظام النحويّ بالإضافة إلى نسق المعاني المستخلصة في إطار اللغة)[١٣].

إنّ فهم (المعنى) على وَفق هذه الطريقة جعل البلاغيّين القدماء يحصرون وظيفته في غايتين متآزرتين؛ هما: البيان الذي يحصل من أجل التواصل، والجمال الذي يحصل من أجل التزيين لفعل البيان السابق. فالإبانة والكشف والإفصاح إنّما هي مساعٍ توصيليّة شكلت عمدة العمليّة البيانيّة: (... لأنّ مدار الأمر التي يجري إليها القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام فبأيّ شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع)[١٤].

إنّ البلاغيّين القدماء حين عالجوا مسألة (المعنى) وجدوها عمليّة شائكة متشابكة مترابطة؛ فالتعبير باللغة أيًّا كان شكله؛ إنّما هو شكل من أشكال الأفعال التواصليّة بين مستخدمي اللغة؛ وعند ذاك فلا غنًى لمن يطالعه من أن ينهل من العناصر غير اللغويّة عنايةً واهتمامًا؛ فالنصّ أيّ نصّ هو ليس المتكلّم والمتلقي وطبيعة الأفكار التي يراد التعبير عنها والجنس الكلاميّ؛ وهذا ما حملهم إلى الاعتقاد بأنّ الخوض في بيان معاني النصّ سوف يتطلب منهم نظرة شموليّة هي أوسع من أن يحيطوا بعنايتهم مفردات أخرى من عناصر عمليّة التوصيل: (فهناك عناصر غير لغويّة ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء أو أجزاء من معنى الكلام كشخصيّة المتكلّم وشخصيّة المخاطب وما بينهما من علاقات وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به)[١٥].

البعد النفسيّ للمفردات

في عمليّة الإبداع عمومًا وصناعة المعاني خصّيصى ارتباط متين بين المفردة وبين البعد النفسيّ، وبين سائر أنواع الاستجابات العاطفيّة؛ فلو: (رجعنا إلى موروثنا البلاغيّ والنقديّ... لوجدنا البلاغيّين والنقاد القدامى ومعهم الشعراء والأدباء، قد تحسّسوا هذه الظاهرة تحسّسًا تامًّا وأشاروا إليها... كما لا تعدم الإشارة إليها عند الفلاسفة المسلمين في القسم الخاصّ وبالنفس من دراساتهم...)[١٦].

فعند هؤلاء يتجلّى الشعور النفسيّ أو الإحساس العاطفيّ أزاء الأشياء المختلفة، ومن جانب آخر فقد رأى آخرون أنّ: (النفس تقبل اللطيف وتنبو عن الغليظ وتقلق من الجاسي البشع وجميع جوارح البدن وحواسّه تسكن إلى ما يوافقه وتنفر عمّا يضادّه ويخالفه...).[١٧]

ومن بعدُ فإنّ المعاني يجب أن تأتي متلائمة مع هذه الطبيعة البشريّة؛ فـ: (إخراج المعاني في ألفاظ حسنة رائقة يلذّها السمع ولا ينبو عنها الطبع خير من إخراجها في ألفاظ قبيحة مستكرهة...)[١٨].

إنّ وظيفة اللغة الأساسيّة لا تكون في وصف العالم أو التعبير عن الأفكار أو التأمّل ونقل المعلومات. إنّها تحوّل الأقوال إلى أفعال في سياقات خاصّة؛ إذ إنّ هناك أقوالاً تجرى في إطار اجتماعيّ ونفسيّ تصبح أفعالاً منجزة ما إن يُنطَق بها؛ فاللغة فعل يؤثر في الواقع ويعدّل في السلوك ويثير ردود الأفعال[١٩].

إنّنا حين ننظر إلى النصّ من زاوية هذه الجنبة -البعد النفسيّ-؛ فنحن نرى أنّ طرفي العمليّة اللغويّة (المنشئ والمتلقي) معًا. فالمنشئ واقع تحت تأثير أنواع من التوترات النفسيّة التي تدفعه نحو إنشاء النصّ، ولكن الإمام مسيطر عليها ويتصرّف بها كيفما شاء، والمتلقي متقبل لأنواع من المثيرات العاطفيّة التي يسقطها عليه النصّ

أيضًا. فمنشئ النصّ لا يقصد بتراكيبه ومفرداته أن يبيّن مقدرته في صياغة النصّ، وإنّما يريد إحداث أثر ما في نفس متلقيه، وإيصال فكرة ما إلى عقل المتلقي.

لذا حين نجري تنفيذًا في خطبة الإمام الحسن عليه السلام نجد أنّ المفردات التي استعملها الإمام عليه السلام من صميم ما كان يتداول في الجاهليّة، ثمّ الإسلام؛ فلغة المجتمع لم تتغيّر ذاك التغيّر الكبير ولا فكره، ولا عقيدته. وإن هيمن الإسلام في الظاهر على واقع الحياة؛ لذا كانت أوّل كلمة صادمة تفوّه بها الإمام؛ هي ((**من عرفني فقد عرفني**))، وهو يعلم لما لها من وقع نفسيّ وتأثير مؤلم في نفوس المتلقين؛ وهم هؤلاء المجتمع الكبير وفيهم معاوية وجنوده وحاشيته. والألم يأتي في نفوسهم من تذكّر النبيّ صلى الله عليه وآله وتذكر الإمام عليّ عليه السلام بأفضل سيرة وأفضل عدل، وهاهم ينتهي بهم الأمر إلى معاوية. ثمّ يردفها بقوله ((**ومن لم يعرفني فأنا الحسن ابن رسول الله**))، فالإمام منذ الوهلة الأولى حدّد مساره في تأثيره النفسيّ؛ إذ دعاهم إلى الجهر بمعرفته؛ ليقوم بعمليّة التفاعل بينه (المرسِل) وبين المجتمع (المرسَل إليه)، ثمّ ينتقل بهم بقوله: (أنا ابن البشير النذير). فنرى في هذا التركيب أنّ التذكير بالنبيّ من حيث البشرى بالخير، ومن حيث الإنذار من الشرّ؛ وقد استعمل الإمام الجملة الاسميّة ليؤكد الأمر ويقوّيه في نفوسهم.

ويستمرّ جواب الإمام عليه السلام في التركيب نفسه ((**أنا ابن المصطفى بالرسالة**))، وبعموم المعنى أنّ (المصطفى) هو المستخلص من الشيء؛ ورسول الله صلى الله عليه وآله هو النور الأوحد من الله. وقد استعملها الإمام في تركيب في موضع المضاف إليه؛ أي بيان النسبة إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فهو رئيس القوم وعمادهم وسيّدهم؛ لأنّه ابن المصطفى(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وجاء بصيغة المفرد دلالة على انفراده بالإمامة وحده دون غيره من أضراب معاوية.

فالإمام عليه السلام في هذا المقطع يخبرهم أنّه وقومَه المقرّبين من أهل بيته وأصحابه ـ هو الحقّ وصاحب الأمر ـ أغاث جميع المجتمع؛ وأراد أن يرتفع بفكر المجتمع ولغته؛ إذ إنّه كلّمهم بلغةٍ أعمقَ من لغة الشعراء التي كانت متعارفة لديهم.

أمّا عن قوله (أنا ابن من صلّت عليه الملائكة) فقد جاءت أيضًا جملة اسميّة أُضيفت إلى اسم موصول وصلة الموصول جملة فعليّة جاءت بصيغة الماضي؛ أي إنّ صلاة الملائكة على النبيّ صلى الله عليه وآله قديمة وما زالت مستمرّة، ولذا أراد الإمام بهذه الجملة التأثير في متلقيه ومن بعدُ إحداث التغيير القائم على العلم لا على الثورة والهياج والانفعال العصبيّ؛ أي: إنّ إمامته عليهم تكون عن وعي لا عن جهل وضلال.

إذًا المجتمع ينماز بلغة مستشفة من واقع محسوس، والإمام جاءهم بهذا الأسلوب؛ ليبيّن فضله عليهم، وامتيازه عليهم بالعلم والثقافة العالية التي يريد بها إنقاذهم من واقع مر، وتفكير سقيم، وعقيدة منحرفة.

وقد أولى الإمام البعد النفسيّ عنايته الكبرى؛ إذ إنّه – أي الإمام – ركّز بعموم نصّه كلّه –مجال البحث– على البواعث النفسيّة؛ فرصف كلماته، ورتب ألفاظه، وأقام جمله وعباراته بترتيب مقصود محكوم بوعي نفسيّ، وحافز عاطفيّ؛ يقول عبدالقاهر الجرجانيّ: ((**هذا الحكم أعني الاختصاص في الترتيب يقع في الألفاظ مرتبًا على المعاني المرتبة في النفس...**)).[٢٠]

وكان البعد النفسيّ في نصّ الإمام ذا حضور قويّ وفاعل في كلّ مفاصله بَدءًا بالمقدّمة وانتهاءً بآخر مفردة منه؛ فكان أفضل وسيلة لغويّة جسّدت حركة المضيّ؛ لأنّ المعنى قائم بالنفس؛ يستدلّ عليه تارة بالصوت وتارة بالتركيب، وبجمع الألفاظ بعضها إلى بعض، وتارة بتشكيله في صورة بديلة أو لازمة؛ فالمبدع: (يأتي إلى معنى فيبرزه من عدّة صور تارة بلفظ الاستعارة وطورًا بلفظ الإيجاز وآونة بلفظ

الإرداف وحينًا بلفظ الحقيقة)[٢١]. والمعنى على مدى كلّ هذه المستويات اللغويّة وقع تحت ضوء العامل النفسيّ، وانشدّ إلى كلّ حركة من حركاته؛ فعلى صعيد المستوى الصوتيّ علمنا: (أنّ لجرس اللفظة ووقع تأليف أصوات حروفها وحركاتها على الأذن دورًا هامًّا في إثارة الانفعال المناسب... كما أنّ له إيحاءً نفسيًّا خاصًّا لدى مخيلة المتلقي والمتكلّم على حدّ سواء)[٢٢].

البعد القصديّ

يرتبط النصّ بغاية؛ وهي إفادة المعنى؛ لذا وجب أن: (تتصدّر الإبانة والإفهام سلّم الوظائف التي تؤدّيها اللغة وأن يبقى النصّ الأدبيّ وسيلة إبلاغ بالدرجة الأولى...)[٢٣]. فإلى جانب هذا التوجّه الوظيفيّ النفعيّ للنصّ نجد وظيفة أخرى فيه؛ وهي الوظيفة الجماليّة؛ فلا بدّ من إيصال المعنى على أحسن هيأة وأبهى صورة.

حين ينظر إلى النصّ تتولّد نظرة تحدّد قيمته بقدرته على صنع المعنى والإحاطة بجوانبه والإيفاء بلوازمه؛ وهذه النظرة هي(القصد)؛ إذ إنّ: (الخبر وسائر معاني الكلام معانٍ ينشئها الإنسان... فاعلم أنّ الفائدة في العلم بها واقعة من المنشئ لها وصادرة عن القاصد إليها...)[٢٤]. فإذا قلنا مثلاً في الفعل إنّه موضوع يقصد به الخبر فإنّ القصد في هذه الحال لا يتوجّه إلى الإعلام أو الإنباء بالخبر في نفسه وجنسه، ومن حيث هو فعل قائم بذاته إنّما القصد ينحو إلى تركيبه وضمّه إلى اسم آخر حتى يعقل منه ومن الاسم معًا ذلك القصد الذي يأتي من المتكلّم.

إنّ منشئ النصّ يعلم بمقاصده التي يمزجها بألفاظه وتراكيبه؛ فلا يكفي وجود لغة بوصفها علامات أو إشارات قد اتفق عليها أفراد البيئة اللغويّة المحدّدة وهو ما اصطلح عليه بـ (الموضعيّة)، ولكن قيام المعنى لا يتمّ إلاّ بمراعاة المقاصد؛

فالكلام: (.... بعد وقوع التواضع يحتاج إلى قصد المتكلّم باستعماله في ما قرّرته المواضعة.... فالمواضعة تجري مجرى شحذ السكّين وتقويم الآلات، والقصد يجري بحسب ذلك الإعداد)[٢٥].

إنّ لـ (المقاصد) مصادر أوّليّة لبواعث القول؛ فعندما تكون هذه المقاصد في الخطابة فإنّ ذلك يأتي من أجل الإقناع[٢٦]. يقول حازم القرطاجنّيّ في هذا الصدد: (القصد في التخييل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده..)[٢٧].

إنّ (القصد) هو معيار ينبع من ذهن المنشئ لينصبّ في مكنون النصّ ليرسم شكله الخارجيّ، وتعيين نوعه، وتبيين وجوه معانيه، وتحقيق وظيفته؛ فلهذا، الأمر يهيمن في كلّ لحظة من لحظات انبثاق المعنى في الذهن؛ فعلى كلّ مقدار من مقاديره حين يجيء متماهيًا مع (المقاصد) يرتفع قدْره في مقياس (التواصليّة) وكذا عكسه، وهذا يعني أنّ (المقاصد) تتعدّى منشئ النصّ ومتلقيه حين يتكوّن المعنى؛ لتصل إلى المعيار الذي يحدّد قيمة المعنى؛ فعندما نجري هذا الأمر على كلام الإمام عليه السلام نجده – أي الإمام – وهو منشئ النصّ قد انتقل بسرعة إلى (الريح تلقحه، والشمس تنفخه، والقمر يلوّنه، والحرّ ينضجه، والليل يبرده)؛ حين قاطعه معاوية بعد أن رأى انشداد الناس إلى الإمام ونهلهم من عذب ريّه؛ إذ أراد تغيير الموضوع؛ فاستثمر الإمام ليبيّن علمه وفضله أكثر فأكثر؛ فبيّن تكوّن مراحل نضج الرطب؛ ثمّ رجع إلى إتمام قوله ببديهة سريعة لا يضارعها إلا بديهة الأئمة المعصومين عليهم السلام؛ وهنا يجعل الإمام ألفاظه ممّا أَلِفَها جميعهم؛ لتكون لنا دليلاً على أنّ هذا المجتمع ما زال يتحدّث بلغة سليمة وما زال يفهم الكلام الرائق الشائق الفصيح؛ فمن الممكن إحداث التغيير فيه؛ إذ لم تتبدّل لغته وإنّما الإمام يهذبها ويشذبها؛ فقد كان بإمكان الإمام

أن يقول غير ذلك؛ ولكنّه ذكر هذه الجمل وقد أكنّها قصده وما يريد من دلالات أخرى غير ظاهر الألفاظ. وفي هذا دلالة أيضًا على أنّ القوم ممّن مازالوا يألفون هذه الألفاظ التي يتحدّثون بها. وما زالوا يستأنسون بالكلام العالي الفصاحة والبلاغة.

وآخر القول نقول في المقصديّة إنّ خروج المعاني خروجًا مطابقًا للمقصديّة سيعمل على إثرائها، وحينئذٍ نجاحها في التأثير في المتلقي، وضمان قيمتها البلاغيّة والجماليّة معًا، وفي هذا كلّه وصل إلى كمال الصنعة؛ لأنّه: (لا يكمل لصناعة الكلام إلاّ من يكمل لإصابة المعنى وتصحح اللفظ والمعرفة بوجوه الاستعمال)[٢٨].

البعد المقاميّ

إنّ صناعة المعنى تؤسَّس من الارتباط الوثيق بين المعنى والمقام؛ إذ يكون بهما الفائدة؛ إذ إنّ أيّ منجَز لغويّ يتعدّى منشئه إلى متلقيه من أجل الفائدة، ولابدّ للمتلقي من الخضوع إلى شروط المنشئ أوّلاً، وبما يجعل الفعل مقبولاً لدى المتلقي بسبب مناسبته لحاله ثانيًا؛ فحين يتحقق الأمران معًا تنجح عمليّة التواصل اللغويّ؛ وهي ما تسمّى بـ (لكلّ مقام مقال)؛ وهذه القضيّة نجدها عند العلماء القدماء حينما تحدّثوا عن موضوع المناسبة التي بين المقام والمقال من حيث البناء والمعنى؛ فقد عُنوا عناية جليّة في وصف المقام الذي يجري في الكلام واستعماله؛ يقول الدكتور نهاد الموسى في حديثه عن سيبويه: «وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب وحال المتكلّم وموضوع الكلام وقد هداه هذا الاتساع إلى استكناه البنية الجوانيّة للتركيب النحويّ ورسم خطوط هادية في تعلّم العربيّة تعلّمًا يضع كلّ تركيب موضعه ويعرف لكلّ مقام مقاله»[٢٩]. وعندما نتقدّم في القراءة المقاميّة للخطبة الشريفة؛ نجد تفسيرًا واضحًا على مطابقة الخطبة لمقام هذا المجتمع الذي واجه الحسن، ومقتضى الحال؛

فقد حوت هذه الخطبة إشارات معنوية إلى تلك القضيّة؛ فعندما عرّج الإمام بقوله ((**أنا ابن المستجاب الدعوة، أنا ابن من كان مِن ربّه كقاب قوسين أو أدنى...**)).

فهؤلاء القوم جميعًا، قد اجتمعوا على الاستماع للإمام عليه السلام؛ فنفهم أنّهم مجتمع حديث العهد بالإسلام، وهذا العهد الذي مرّ بهم يقرب الأربعين سنة على استشهاد النبيّ صلى الله عليه وآله، وهم يرون قبره كلّ يوم، والإمام عليه السلام وقف خطيبًا فيهم في المسجد بالقرب من ضريح جدّه؛ فكان لابدّ من هذا القول في هذا المقام؛ وهو في الوقت نفسه يذكرهم بالإسراء والمعراج التي كان فيها النبيّ صلى الله عليه وآله قاب قوسين أو أدنى من العليّ الأعلى، أو يذكرهم بقوله: ((**أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن من خضعت له قريش رغمًا**))، وهذا المجتمع فيه من قد تفشى الجهل فيه، والحمق والظلم وجميع الصفات السلبيّة، وفيه من العلماء ورواة الحديث وحفظة القرآن، وفيه بقية باقية من الصحابة الأوائل الذين عاينوا الرسول صلى الله عليه وآله وسمعوا كلامه؛ وإذا بهم يرون سبطه وهو شبيهه وينصبّ انصباب السيل عن شنيب جدّه وكأنّه هو، ويذكرهم به، فبدأت الدموع تهمل والقلوب تتولّه والأكباد تتلوّع؛ وبطبيعة الحال فكلّ فرد منهم قد بدأ يتحرّق شوقًا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

إذًا أحدث الإمام التأثير المطلوب بكلماته تلك؛ ووافق مقالُه مقامَه؛ فضلاً عن تأثيره الكبير في جلّ الجيش الذي جاء مع معاوية لحمايته مع حاشيته وأنصاره الذين يعاونونه ويساعدونه ويؤيّدونه. والإمام ينبّههم أنّه هو (صلوات الله عليه) سيّد أوليائهم - بني أميّة -، ولكنّ معاوية يأبى إلاّ أن يقاطعه؛ إذ يريد أن يخدع الناس بخسيس عيش وهوان حياة، فأبى أكثرهم إلاّ أن يفكوا عرى التواصل، ويتمسكوا بزمام الجهل.

إنّ فهمنا قائم على قارعة انتفاء الانسجام بين دلالة التركيب (المقال) والمقام المنبثق عن مجموعة من العادات والأعراف الجاهليّة التي لا ترى في السيّد الحقيقيّ إلا الحقد عليه، أمّا أن يكونوا ذوي طاعة له؛ فذلك ما يتنافى ومقتضى حالهم، ولا تستسيغه طباعهم لأنّ الدنيا قد استحكمت في نفوسهم، وأغرقهم الشيطان في بحر الأمانيّ.

وفي تركيب آخر نعثر أيضًا على لمحات من موضوع البعد المقاميّ، وأثره في صناعة المعنى؛ ففي قراءتنا لقول الإمام ((**أنا ابن من سعِد تابعه، وشقي خاذله**)). فمن هذا المعنى نفهم قول الإمام عليه السلام أنّه استخدم معادلة المقال والمقام وسيلة لإخراج المعنى والكشف عن مكنونه، وأنّهم لم يأخذوا برأيه ولا حتى أرادوا أن يسمعوه؛ فلمّا سمعوه تركوه، فأبدلوا اتباع الأحسن بخذلان ولده الحسن عليه السلام. ثمّ قال الإمام عليه السلام لهم ((**أنا ابن من جعلت الأرض له طهورًا ومسجدًا، أنا ابن من كانت أخبار السماء إليه تترى**)).

إنّ الإمام في حقيقة الأمر ذمّهم ووبّخهم، لأنّه ذكّرهم برسول الله صلى الله عليه وآله، وذكّرهم بأخبار السماء؛ ولكنّهم نسوا كلّ ذلك وانقادوا إلى الدنيا، وقدّم قراءته الخاصّة التي صدر فيها من لحاظ واعٍ لفعل المقام الذي أحاط بالمعنى؛ فانطلق أوّلاً من معرفة دقيقة بمقتضى حال مقامه فيهم؛ إذ إنّه الإمام الحقّ المفترض الطاعة، وهو إمام الهداية إلى الله؛ ومن جنبة ثانية فهو محكوم بتكليفه الشرعيّ من حيث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّه جزء من هذه المجموعة البشريّة التي بُعث إليها جدّه رحمة بهم، وليتمم مكارم الأخلاق فيهم؛ لذا إنّه سيمارس البعد المقاميّ على أنّه فعل مهمّ في تغيير وجهة المعنى وجهة جديدة بعيدة كلّ البعد عن الذمّ والتوبيخ؛ وهذه الوجهة تتمثل بأن يبعث فيهم روح الشجاعة ونبذ الانهزاميّة، وتوجيه

انتقادهم إلى الأعداء الحقيقيّين، والانتقام منهم، فهو يهزّهم؛ ولكنّهم لم تثمر فيهم هذه الكلمات لأنّ قلوبهم مطمئنة بسراب خادع؛ إذ ليس فيها فرَق أو قلق، أو خوف من الله، أو من عاقبة أمرهم الوبيلة، التي ستكون أسوأ عاقبة؛ لأنّهم أصرّوا على ترك ابن بنت رسول الله ﷺ، وليس فيهم حصافة رأي ولا رجاحة عقل.

إنّ مراعاة القصد في بناء الصورة المعنويّة يؤدّي إلى أن تُفرَض أنماط خاصّة في صياغة الألفاظ والمعاني؛ فيفضي إلى أنّه مجموعة الظروف المحيطة بإنتاج النصّ شكلاً ومعنًى أو طبيعة الاعتبار المناسب الذي يستدعي بناءً لغويًّا معيّنًا؛ إذ لكلّ اعتبار ناتج نصّيّ يتوافق معه. وهذا البناء اللغويّ ينقسم على قسمين؛ هما: مقام الحال، ومقام السياق؛ أمّا الأوّل منهما فهو ضرب ينبثق من مناسبات إنسانيّة، وينبعث من مقتضيات الحال المتعلقة بالنفس البشريّة حين تساهم في إنشاء النصّ ومعناه من حيث الإنتاج والتلقي، وهنا يوجَب علينا جعل المنشئ والمتلقي شريكين في عمليّة بناء النصّ والتواصل؛ بعيدًا عن البعد المقاميّ، وهو الذي لا يمكن تحقيقه إلاّ بالنظر إليهما معًا؛ فغياب أيٍّ منهما سينهدم نصف البناء فلا تعد قيمة للنصف الآخر؛ فلا بدّ من قيام التناسب بين مقام المنشئ ومقاله، ولا بدّ من تحقق التطابق بين مقتضى حاله ومعانيه؛ فمراعاة أحواله الإدراكيّة والثقافيّة والاجتماعيّة حين حصول عمليّة الإبداع يعني الوصول بالنصّ إلى مبتغاه وهو التأثير ومن بعدُ التغيير.

فعندما قال الإمام عليه السلام ((**أنا ابن من أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً**)) فالإمام هنا أقام معاينة في أنّ أهل البيت عليهم السلام هم المنزّهون المعصومون عن الصغائر فضلاً عن الكبائر وليقابل مقتضى كثرة المجتمع بفظاظته، بطهارة أهل البيت على قلّة عددهم، وضآلة نفوس المجتمع وحقارتها؛ بعظم نفوسهم عليهم السلام، وهم بذلك يسمعون للإمام، ولكنّ قلوبهم ميتة لا تعي ما يقول؛ فهم مجتمع جلّه جاهل غبيّ،

لم يرسخ الإسلام ولا القرآن في قلوبهم، على مدى أكثر من أربعين عامًا ـ مدّة حكم الحكام الأوائل وما حدث فيه من جور على العباد وزيغ عن الحقّ، والآن يأتي بنو أميّة ـ وما زالوا بعيدين عنه؛ ولكنّ التأثير بدأ يدبّ في عقولهم ونفوسهم؛ فبدأ شيء من التواصل معه والتأثير فيهم؛ إذ اتضحت عاطفته بقوّة لتمارس فعلها في تشكيل مقامه وصياغة مقتضى حاله، وهذا في الوقت نفسه سيكون سلطة موجِّهة للمعنى تسمه بوسمها، فجاء متناغمًا ومقامه؛ وهو الإمام المفترض الطاعة الذي جاء من أجلهم ليدافع عنهم وينافح، لذا تنبّه معاوية على ذلك فقاطع الإمام للمرّة الثانية فقال(أظنّ نفسك يا حسن تنازعك إلى الخلافة)؛ فما كان من الإمام إلاّ أن يدعوَ عليه مبادرًا بالقول (ويلك يا معاوية) لأنّه أبى الإسلام والقرآن وجافى الحقّ. إذ حاول جرّ الحديث إلى أنّ الإمام عليه السلام إنسان عاديّ سياسيّ يأكل قلبَه حبُّ السلطة، وليس إمامًا معصومًا مفترض الطاعة.

إنّ منشئ النصّ – الإمام عليه السلام – أحاط بالأحوال العاطفيّة والفكريّة والأخلاقيّة والبيئيّة حين بنى نصّه وأخرج معانيَه فيه. إنّه كشف عن نفسه الأبيّة حين صاغ معانيَه وصوره؛ فمتح من مور علمه صوره المركبة بحسب مقامه وعلى نسق مقتضى حاله.

وإنّ أغراض الكلام لها أثر مهمّ في رسم معالم تلك المقامات؛ ممّا يعني اشتراكها في توجيه دلالات النصّ وجهة معيّنة تناسب تلك الأغراض؛ وإنّ لكلّ غرض متطلباته التي ينبغي لمنشئ النصّ أن يدركها فيوفيها حقها؛ فلا بدّ: (للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني... فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلامًا ولكلّ حالة من ذلك مقامًا. حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني)[٣٠]. لذا استرسل الإمام في تدفقه ليعرّف الناس ما معنى الخليفة الحقيقيّ وهو يعني نفسه وأباه عليهما السلام؛ إذ قال ((**إنّما الخليفة من سار بسيرة رسول الله، وعمل بطاعة الله**)).

وبهذا النمط من الصياغة جاء التناغم مع مقام المجتمع المتنوّع؛ فنوعٌ كانوا مقصودين بمعنى الذلّ والهوان؛ فعلى وَفق مقتضى أحوالهم أنّهم عبيد أذلاء للجهل، وليسوا عبادًا؛ فالعبد المملوك معروف بالذلة والانقياد لسيّده مجبرًا؛ أمّا العبد المفرد من عباد فهو الطائع لله الملبّي لأوامره بكلّ حرّيّة ونفس مطمئنّة راضية؛ والحسن هو سيّد العباد في عصره، ونوعٌ في حقيقتهم متفرّقون أشتاتًا من طوائف شتى تتقاذفهم الأهواء، يفرح كلّ حزب منهم بما لديهم؛ يميلون مع كلّ ريح. ولكن جمعتهم الخسّة والدناءة والطمع بما في أيدي بني أميّة من خسيس عيش، وهم لا يجمعهم أصل ولا محتد، ولا مجد قديم. ونوعٌ نبذوا الكتاب وراء ظهورهم وطرحوه ورموا به ولم يعملوا به؛ فهؤلاء قد تركوا القرآن بشدّة ورموا به وراء ظهورهم؛ إذ لم يعملوا به؛ أي: إنّهم قد خرجوا من دين الله إلى الكفر بتعمّد واتباع أهواء منهم، وليس بفعل خارجيّ؛ إذ لم يجبروا على ترك القرآن وأهل البيت ﷺ. ونوعٌ استمع إلى قول الإمام فاتبعوه ولكنّهم ثلّة قليلة يرجو الإمام فيهم الخير؛ لذا حافظ عليهم من القتل، وأراد منهم أن يقبضوا على جمر دينهم ليستمرّوا عليه وينقلوه جيلاً بعد جيل.

فمقامات المتلقين هذه؛ لذا كانت على نسق تراتبيّ؛ ليتحقق الترابط والانسجام بينها وبين مقامات المتلقين؛ فكانت المعاني قد ظهرت بهذه الصور التي ذكرناها.

.....

١. تنظر هذه الفقرات في: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزميّ: ١/ ١٨٣ــ ١٨٥ الحديث ٨٧.
٢. ينظر هذا النصّ في: بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٦٩.
٣. الكافي باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه.
٤. الكافي باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء.
٥. الكافي باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء.
٦. الكافي باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء.

٧. صحيح البخاري وصحيح مسلم – باب العلم.
٨. تحف العقول: ٢٢٧ـ ٢٢٨(حكمه ومواعظه)، بحار الأنوار:٧٥/ ١٠٥/ الحديث ٣.
٩. التطور الدلاليّ بين لغة الشعر الجاهليّ والقرآن الكريم، عودة خليل أبو عودة: ٧٦.
١٠. قمصان الزمن فضاءات حراك الزمن في النص الشعري العربي، د.جمال الدين الخضور: ٥١.
١١. منهاج البلغاء: ١٨.
١٢. المصدر نفسه والصفحة نفسها.
١٣. فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ٩٧.
١٤. البيان والتبيين: ١/ ٧٦.
١٥. علم اللغة: ٢٢٨.
١٦. الأسس النفسيّة لأساليب البلاغة العربيّة:١٧.
١٧. كتاب الصناعتين: ٦٣.
١٨. المثل السائر:١/ ١٢٠.
١٩. ينظر: أفعال اللغة والخطاب الأدبيّ، خليفة بو لفعة، جامعة الأغواط (بحث): ١.
٢٠. أسرار البلاغة: ٤.
٢١. منهاج البلغاء:٤٠.
٢٢. الأسس النفسيّة لأساليب البلاغة العربيّة: ١٨.
٢٣. التفكير البلاغيّ عند العرب:٥٦.
٢٤. أسرار البلاغة: ١١٥– ١١٦.
٢٥. العمدة: ١/ ١٩٩.
٢٦. ينظر: منهاج البلغاء: ١٢.
٢٧. منهاج البلغاء: ٢٠.
٢٨. كتاب الصناعتين: ٤٥١.
٢٩. نظرية النحو العربيّ: ٦٣.
٣٠. البيان والتبيين: ١/ ١٣٨– ١٣٩.

المصادر والمراجع

١. أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ، دار صادر للطباعة والنشر ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.
٢. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانيّ، إسطنبول، مطبعة وزارة المعارف ١٩٥٤.
٣. الأسس النفسيّة لأساليب البلاغة العربيّة د. مجيد عبد الحميد ناجي المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر بيروت ط١ ١٩٨٤م.
٤. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٥. علم اللغة (مقدمة للقارئ العربيّ) محمود السعران دار المعارف الإسكندرية ١٩٨٢م.
٦. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيروانيّ، تحقيق محمّد محيي الدين عبدالحميد، بيروت ط٤ دار الجيل ١٩٧٢م.
٧. فلسفة البلاغة بين التقنية والتطوّر، رجاء عيد منشأة المعارف الإسكندريّة ١٩٨٤م.
٨. الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمّد بن يزيد المبرّد، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م.
٩. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكريّ، تحقيق عليّ محمّد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة البابي الحلبي ط٢.
١٠. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنيّ، تحقيق الحبيب بن الخوجة، تونس ١٩٦٦م.
١١. نظرية النحو العربيّ في ضوء مناهج النظر اللغويّ الحديث، نهاد الموسى، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠م.